

بمّ بحث بعنوان

المبادئ الحربية في سورة الأنفال

إعداد الطالب

سالم محمد سالم باهرمز

الرقم المرجعي : ADM10AH273

إشراف الدكتور : خالد نبوي سليمان حجاج

نائب الوكيل المساعد للشؤون الأكاديمية للتعليم عن بعد

نائب رئيس قسم القرآن الكريم وعلومه

كلية العلوم الإسلامية

قسم التفسير وعلوم القرآن

جامعة المدينة العالمية

للعام الجامعي (1434هـ - 2013م)

V

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد إلا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، قائد المجاهدين، وإمام الغر المحجلين.

أما بعد :

لقد تناولت سورة الأنفال - مثل غالبية سور القرآن الكريم - موضوعاتٍ مختلفة، إلا أنك تجد أن العصب الفكري للسورة يحوم على مفهوم (الجهاد)، وبخاصة الجانب العسكري منه، ولعل من يتلو السورة يلاحظ ذلك جلياً أثناء السورة، سواء في بدايتها أو في نهايتها مروراً بوسطها - حيث تبدأ السورة بتأصيل أحكام الأنفال، وتختتم بسمات المجاهدين، وينتظم وسطها رسمٌ للمعارك وحثٌ على الجهاد وصياغة لبعض مبادئه - لعل بداية السورة ووسطها ونهايتها بالنحو الذي أشرنا إليه تدلنا إجمالاً على فكرتها المتصلة بالجهاد.

وفي ظلِّ هذا العالم الذي يجتاحه عدد من الحروب والثورات في بقاعٍ وأنحاءٍ شتى، وأمام الحرب الضروس التي يُقاسي ويلاطمها العالم كُله، وخصوصاً بلدان العالم العربي والإسلامي؛ حيث تُشنُّ الحروب ضد الإسلام وأهله - تولد هاجس البحث عن مبادئ وقيم الحرب في الإسلام، كخطوة على الطريق؛ من أجل إظهار حقيقة الإسلام فيما يخص الحروب وبموضوعية تامة؛ لتوضيح مدى تمسك المسلمين بالقيم الحربية قبل المعركة وفي أثنائها، وبعد أن تضع الحرب أوزارها.

إن استكشاف نظريات الإسلام والعلاقات الدولية لا بد من أن يقوم على معرفة السياسة الحربية التي تسير عليها أية أمة، وإن من التخدير للعقول؛ أن نتكلم عن ديانة أو

حضارة وُجدت وُسادت ولم يكن في تاريخها استعمال الحرب في غالب الأحيان، لكن يبقى أن التميز في كيفية هذه الحروب، وفي مدى توافق البُعد الأخلاقي النظري مع التطبيق الحربي الواقعي.

وإنه لمن المؤسف أن ترى الكثير ممن تعارفوا على جملة من المبادئ الحربية، قد وصل الحال ببعضهم أن زعموا أنها من بنات أفكارهم، لكن عند الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المفسرة له، نجد هذه المبادئ مقررة ومطبقة.

لذا سيتناول الباحث في ضوء سورة الأنفال، ثم في ضوء بعض الآيات المتفرقة، بعض الآيات المقررة لهذه المبادئ والمتضمنة للإرشادات العسكرية، وسيحاول الباحث ربطها بالسيرة العسكرية للقادة الأوائل رضوان الله عليهم أجمعين.

أهداف البحث :

ويهدف هذا البحث إلى :

- 1- السعي لنيل رضا الله سبحانه وتعالى أولاً وآخراً .
- 2- التأصيل القرآني لأصول ومبادئ الحرب من خلال ما ورد في سورة الأنفال.
- 3- الاستفادة من أصول ومبادئ الحرب التي قدمها القرآن، وإبرازها في تفسير موضوعي يجمع شملها، ويؤلف شتاتها، مع توظيفها في واقعنا الجهادي المعاصر.
- 4- الارتقاء بجهاد أمتنا على الصعيد الفلسطيني بخاصة وأمتنا المسلمة عامة نحو المثالية التي يريدتها الإسلام.

مشكلة البحث:

يُمكن تحديد المشكلة الأساسية للبحث، والتي يسعى البحثُ لأن يُقدِّمَ لها حلاً علمياً في الاستفهام التالي: ما هي مبادئ الحرب في الإسلام؟ وكيف يُمكن إبرازُ ما تتميز به، من خلال ما ورد في القرآن الكريم والسيرة النبوية العسكرية؟

منهج البحث:

أما عن المنهج فقد استفدت من معظم المناهج المعتمدة في البحوث العلمية فأخذت بالمنهج التاريخي في تطبيق المبادئ الحربية على مدى عدة قرون. كما استفدت من المنهج الفني في الكشف عن الصورة الجمالية لقادة الإسلام وطريقة تعاطيهم مع الحرب والمحاربين. وأخيراً استثمرت المنهج التحليلي في دراسة ضوابط ومقاصد الحرب في الإسلام ومناقشة بعض المفاهيم.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى لإبراز فلسفة الحرب في الإسلام، وإبراز المبادئ الحربية الإسلامية، مع الإشارة إلى أنَّ الحرب في الإسلام حربٌ تسعى لرحمة البشرية، واحترام الكرامة الإنسانية، باعتبار أنَّ الإنسان هو بُنيان الله في الأرض، وأنَّ النفس البشرية هي أشرف النفوس على الإطلاق.

وكذلك تتجلى أهمية الموضوع وتنصب فيما تحتاجه أمتنا المعاصرة إلى الجهاد القويم الخالص لوجه الله تعالى، الذي يتفق مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والقائم على أصول ومبادئ الحرب المنبثقة عنهما.

حيث أنه من المهم أن تنحو الدراسات المعاصرة إلى ابتكار طرائق جديدة في سبيل بيان مفهوم الإسلام للسلام والحرب، وألا نكتفي بالموقف الدفاعي المعهود في كتاباتنا. ولعلّ القيمة الحقيقية لهذا البحث، أنه محاولةٌ لإبراز عَظْمَةَ الإسلام وشموليَّته لمنح شئٍ من الحياة - سلمًا وحرًا - وإبراز لدور المبادئ وأهميتها في حماية الإنسان والحياة، وذلك باعتبار أنّ الإنسان خليفة الله في الأرض، وهو بيت القصيد في كلّ الفلسفات قديمًا وحديثًا.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد توفرت عدة دوافع حدت بالباحث إلى اختيار هذا الموضوع :

أهمها : ما تمر به أمتنا المسلمة من مرحلة عصبية تتجرع فيها أشد أنواع الأذى والاضطهاد، وتتلقى أوجع الطعنات من أعدائها في الداخل والخارج.

الدافع الثاني : بيان المنهج النبوي في التعامل مع الأعداء حال الحرب وبعدها.

الدافع الثالث : حاجة المجاهدين في سبيل الله إلى أن تكون عندهم ضوابط واضحة وقواعد عامة في التعامل مع الحرب وفقه أولوياتها ومعرفة مبادئها والتعاطي معها وفق منهج صحيح.

الدافع الرابع : الخوف من الآثار السيئة المترتبة على ما نلمسه من افتيات على أصول وضوابط ومبادئ وأخلاقيات الحرب في واقع بعض الحركات الجهادية.

الدافع الخامس : عدم الاهتمام من قبل الدارسين بمبادئ الحرب في الإسلام حيث إن كتابات المسلمين عن الحروب الإسلامية كثيرة، ولكن كتاباتهم عن مبادئ الحرب ومكارم الأخلاق الحربية في الإسلام ليست على القدر الكافي.

الدافع السادس : أنّ الكثير من الدارسين الذين تناولوا فكرة الحرب في الإسلام، تناولوها من وجهة نظر تاريخية بحتة، ولم يُفصّلوا الحديث حول مبادئها العظيمة وقيمتها السامية في أبحاث مُنفردة.

صعوبات البحث :

- واجه الباحث عند رقمه لهذا البحث عدداً من الصعوبات، حيث أجمّلها فيما يلي:
1. قلة المادة العلميّة المتخصّصة في هذا الجانب، والتي تُخدم موضوع البحث خدمةً مباشرة.
 2. نُدرّة الدراسات العلميّة المستفيضة التي تناولت هذا الموضوع، جعل من الصعب على الباحث الإحاطة بكل قضية فيه.
 3. أن هذا الموضوع حساس جداً لتعلقه بتقرير مبادئ ربما تقرر مصير الحرب ونهايتها بالإيجاب أو السلب.

تقسيمات البحث :

المبحث الأول:

مبادئ الحرب الإسلامية.. المفهوم والمصدر والمميزات.

* المطلب الأول : مفهوم مبدأ الحرب الإسلامي.

* المطلب الثاني : لمحة موجزة عن أقسام الحروب.

* المطلب الثالث : مصادر تحديد مبادئ الحرب الإسلامية.

* المطلب الرابع : السمات الإسلامية الخاصة والمميزة لبعض المبادئ.

المبحث الثاني:

تحديد مبادئ الحرب من الأدلة القرآنية.

* المطلب الأول : المبادئ الحربية في ضوء سورة الأنفال.

* المطلب الثاني : المبادئ الحربية في سور القرآن الكريم.

المبحث الثالث:

تطبيق مبادئ الحرب في السيرة النبوية العسكرية والفتوحات

الإسلامية.

* المطلب الأول : تطبيقها في سيرة القائد الأعلى ﷺ.

* المطلب الثاني : تطبيقها في عصر الفتوحات الإسلامية (اليرموك - القادسية).

خاتمة تتضمن ذكراً لأهم نتائج البحث

المبحث الأول : مبادئ الحرب الإسلامية.. المفهوم والمصدر والمميزات.

المطلب الأول : مفهوم مبدأ الحرب الإسلامي.

أولاً : تعريف مبادئ.

(بَدَأَ) الْبَاءُ وَالذَّالُ وَالْهَمْزَةُ مِنْ افْتِتَاحِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَدَأْتُ بِالْأَمْرِ وَابْتَدَأْتُ، مِنْ الْإِبْتِدَاءِ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُبْدِئُ وَالْبَادِئُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾¹، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾^{2,3}.

والمبدأ : اسمٌ ظَرْفٍ مِنْ "بَدَأَ"، وَيُجْمَعُ عَلَى "مبادئ"، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَكَانُ الْبِدَاءِ فِي الشَّيْءِ، أَوْ زَمَانِهِ، فَمَبْدَأُ الشَّيْءِ: أَوَّلُهُ، وَمَادَتُهُ الَّتِي يَتَكَوَّنُ مِنْهَا، كَالطِّينِ مَبْدَأُ الْإِنْسَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾⁴ أَوْ مَادَتُهُ الَّتِي يَتَرَكَّبُ مِنْهَا، كَمَا نَقُولُ: الْحُرُوفُ مَبْدَأُ الْكَلَامِ، وَمَبْدَأُ الْعِلْمِ، أَوْ الْخَلْقِ، أَوْ الدِّسْتُورِ، أَوْ الْقَانُونِ: قَوَاعِدُهُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا، وَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا.

ثانياً : تعريف الحرب.

(حَرَبٌ) الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا السُّلْبُ، وَالْآخَرُ دُوَيْبَةُ، وَالثَّلَاثُ بَعْضُ الْمَجَالِسِ.

¹ سورة البروج، الآية: 13.

² سورة العنكبوت، الآية: 20.

³ زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ط دار الفكر 212/1.

⁴ سورة السجدة، الآية: 7.

فَالأَوَّلُ: الحَرْبُ، وَاشْتِقَاقُهَا مِنَ الحَرْبِ وَهُوَ السَّلْبُ. يُقَالُ حَرَبْتُهُ مَالَهُ، وَقَدْ حَرَبَ مَالَهُ، أَي سَلَبْتُهُ، وَأَمَّا الدُّوَيْبَةُ [ف] الحَرْبَاءُ. يُقَالُ أَرْضٌ مُحْرَبَةٌ، إِذَا كَثُرَ حَرْبَاؤُهَا. وَبِهَا شُبُهَةُ الحَرْبَاءِ، وَهِيَ مَسَامِيرُ الدُّرُوعِ. وَكَذَلِكَ حَرَابِيُّ المَثْنِ، وَهِيَ لَحْمَانُهُ.

وَالثَّالِثُ: المِحْرَابُ، وَهُوَ صَدْرُ المَجْلِسِ، وَالجَمْعُ مَحَارِيبُ. وَيَقُولُونَ: المِحْرَابُ العُرْفَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ﴾¹.

وَقَالَ: رَبُّهُ مُحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا ... لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمًا²

ويمكن أن يقال بأن الحرب هي: نزاع مسلح تبادلي بين دولتين أو طائفتين أو فئتين وبالجملة بين معسكرين من الكيانات غير المنسجمة، باستخدام مجموعات مسلحة منظمة تسمى جيوشاً نظامية وأحياناً جماعات شبه نظامية - ميليشيات -، وتستخدم القوة المسلحة كل الوسائل لإلحاق الضرر والأذى بالطرف الآخر في الحرب سواء في قدراته العسكرية أو مقدراته المدنية ويتم ذلك عن طريق التدمير المنظم والمخطط بالاستعانة بمعلومات عسكرية عن الطرف الآخر تجمعها أجهزة الاستخبارات والاستطلاع العسكرية، وتستخدم القوات المسلحة هذه المعلومات للقيام بعمليات عسكرية منظمة للاعتداء على الطرف الآخر. وذلك لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية أو آيدلوجية أو لأغراضٍ توسعية، وهي عادة آخر الأوراق بيد السياسة.

¹ سورة مريم، الآية: 11.
² المرجع السابق 48/2.

ثالثاً: تعريف مبدأ الحرب الإسلامي:

هو حكم عملي ملزم، يعمل مفعوله على إنجاز المهمة ووقايتها من الفشل، ومجمل مفعول المبادئ، يعمل على إيجاد وحفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات اللازمة لتحضير وإدارة العمليات والمعارك، وإنجاز أهدافها بنجاح على أتم وأفضل وجه.

وعرف مبادئ الحرب اللواء محمود شيت خطاب في كتابه الرسول القائد بأنها : هي الجوهر الذي ينشئ في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب، وهي العنصر الذي يتكون منه مسلك القائد في أعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة.

ومبادئ الحرب: هي مبادئ ثابتة لا تتغير أبداً، وهي الأسس القديمة التي تركز عليها الحروب في كل زمان ومكان.¹

¹ خطاب، محمود شيت، الرسول القائد ط 6 دار الفكر 448/1

المطلب الثاني : لمحة موجزة عن أقسام الحروب.

تنقسم الحروب من ناحية القوة العسكرية والبشرية إلى :

1-حروب نظامية .

2-حروب الدمار الشامل .

3-حروب باردة .

4-حروب غير نظامية .

أولاً : الحروب النظامية : هي التي تُستخدم فيها جميع الأسلحة ما عدا أسلحة الدمار

الشامل، وتكون بين جيشين نظاميين .

ثانياً : حروب الدمار الشامل : وهي التي تُستخدم فيها الأسلحة غير التقليدية (

أسلحة الدمار الشامل، كالأسلحة البيولوجية والنووية) ويُعتبر هذا النوع من الحروب مستبعد

الوقوع لأنها تؤدي إلى دمار شامل يقضي على جميع صور الحياة .

ثالثاً : الحروب الباردة : وهي التي لا يكون فيها التحام مباشر بين الطرفين .

رابعاً : غير النظامية (حرب العصابات) : ولها تعريفان..

التعريف الأول : حرب ثورية، والثوار هم مجموعة من السكان المحليين تعارض منهج

الحكومة وفكرها وشرعيتها، كانت محلية أو معتصبة أجنبية.

التعريف الثاني : حرب بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات من قِبَل طرف فقير ضعيف

ضد خصم قوي يتفوق عليه في العدة والعتاد.

وتسمى بحرب العصابات أو (حرب البرغوث والكلب)، فالبرغوث دائماً يلسع

والكلب ويُخدث به جروحاً ويهرب، فيقوم الكلب بعض نفسه وهرش جلده، ثم يعود إليه

البرغوث ويلسعه مرة أخرى، وهكذا دواليك حتى يفقد توازنه وينهكه ويقتله .

المطلب الثالث : مصادر تحديد مبادئ الحرب الإسلامية.

- أ. إن نصوص آيات القرآن هي المصدر الأول لتحديد مبادئ الحرب الإسلامية الأساسية، ونصوص الأحاديث النبوية الصحيحة هي المصدر الثاني لتحديد هذه المبادئ، خاصة فيما لم يرد في شأنه نص قرآني.
- ب. الإجماع والقياس وما إليهما من أدلة شرعية هي مصدر تطوير وتحديث قائمة مبادئ الحرب الإسلامية، وهي مصدر استنباط المبادئ، التي لم يرد في شأنها نصوص صريحة اللفظ أو المعنى.

المطلب الرابع : السمات الخاصة للعسكرية الإسلامية.

1 - قَدَم المذهب العسكري الإسلامي وأصالته: فقد ظهر المذهب العسكري منذ بداية الفتوح قبل أربعة عشر قرن، واستمر في تطوره حتى الأزمنة الحديثة، دونما انقطاع.

2 - تنوع التجارب القتالية: فقد عرف المذهب العسكري عبر استمراره وتطوره جميع أنواع الحروب: النظامية والأهلية والثورية.

3 - الاعتماد على مبادئ الحرب: لقد اعتمد المذهب العسكري الإسلامي منذ نشأته الأولى وخلال مراحل تطوره على مبادئ الحرب وفقاً لما تمت صياغتها والتعبير عنها في الأزمنة الحديثة. وقد يكون من المثير ملاحظة أن لكل مبدأ من تلك المبادئ جذوره العميقة في معظم التجارب القتالية التي خاضها المسلمون: فالمباغته والمبادأة، واستخدام القدرة الحركية للهجوم والمناورة، وحماية المؤخرات، وأمن القوات، والحرص على الإمداد تبرز جميعها واضحة خلال عمليات الفتح الأولى، كما تظهر تطوراتها عبر مسيرة الأعمال القتالية خلال كل مراحل التاريخ.

4 - وما تتميز به العسكرية الإسلامية أيضا الإنسانية:

أنسنة الحرب - مصطلح استخدم في الأدبيات العسكرية، بمعنى: مراعاة العامل الإنساني في الحروب بما يخفف من آثارها التدميرية، ويتجنبها قدر الإمكان - ومن تلك المبادئ الإسلامية في أنسنة الحروب:

أ - الإنذار قبل القتال:

أدرك النبي ما للحروب من آثار تدميرية، فأوجب على المسلمين عدم قطع سبل تجنبها مهما كانت قوتهم، وضمائم النصر على الأعداء، ومن هذه السبل: دعوة العدو وإنذاره قبل القتال؛ وفي الإنذار تخيير للعدو بين القبول بمطالب المسلمين أو القتال، فإن لم تُلبَّ كانت الحرب وقد حرص المسلمون على هذا المبدأ الإنساني حرصاً قوياً، وحافظوا على الوفاء به في

كل قتالهم؛ بل صار شعاراً لهم؛ فكان نضالهم من أجل المبادئ السامية التي جاء بها الإسلام؛ فحققوا الانتصارات المتتالية والكبيرة؛ مصرّين في كل مرة على دعوة الأعداء إلى السلام وتجنب الحرب، بالدخول في الإسلام، أو الخضوع لسلطان المسلمين، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

ب- معاملة الأسرى:

منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم فشلت الجهود الدولية في وضع أسس يتم تطبيقها في مجال معاملة الأسرى؛ فبقيت معاهدات لندن وجنيف حبراً على ورق، والحروب المعاصرة تكشف عن مجازر مهولة يتم ارتكابها بحق الأسرى، ومثالنا القريب: المقابر الجماعية التي تم الكشف عنها في البوسنة لآلاف المسلمين الذين أسرتهم القوات الصربية؛ وأغلبهم من المدنيين، ثم قامت بقتلهم بعد تعذيبهم بدون رحمة، وهكذا في كوسوفا، والشيشان، وأفغانستان، وفلسطين وغيرها، بينما يتفق المستشرقون المنصفون، والعلماء العسكريون على أن النبي كان أول من وضع أسساً إنسانية واضحة في معاملة الأسرى؛ فقد قبل الفداء من أسرى بدر؛ فمن لم يملك المال جعل فداءه أن يعلم عشرة من غلمان المسلمين، وفدى الأسيرين اللذين أُسرا في سرية عبدالله بن جحش.

لقد عامل الرسول الأسرى معاملة فيها رفق، وشفقة، وعناية، وإنسانية، وأوصى بهم خيراً، وعفا عنهم حين ظفر بهم، وأرخى وثاق أحدهم حين سمع أنيه، وكان نتيجة هذه المعاملة أن دخل أغلبهم في الإسلام؛ رغبة منهم في هذا الدين الجديد. ولقد حَضَّ القرآن الكريم على إطعام الأسير، وأوصى الرسول على إطعامه، فأثر المسلمون الأسرى على أنفسهم في الأكل، فكان عزيز بن عمير وهو أسير يأكل أطيب الطعام، أما الذين أسروه فيأكلون التمر وما تبقى، وكذلك فإن الأسير كان يُكسى الكساء المناسب؛ إذ أعطى النبي العباس قميصاً، وأعطى سفانة بنت حاتم الطائي كسوة ونفقة، ومنَّ عليها.

ج- الوفاء بالعهد:

ضمن منهجه العسكري الذي سعى إلى أنسنة الحروب ركز النبي على ضرورة احترام العهود والمواثيق؛ لما لهذا الاحترام من دور كبير في المحافظة على السلام وأهميته في فض المنازعات، وحل المشكلات، وتسوية الخلافات، وحقن الدماء، وما احترام العهود والمواثيق، والوفاء بها، وتحريم الغدر والخيانة إلا من أحكام الإسلام القطعية النافذة على الأفراد والجماعات، فقد أمر الله تعالى بها، فقال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾¹، وقال ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾².

وقد عد الله سبحانه من صفات المؤمنين: رعاية العهد، فقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ءَللّٰهِ إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا ءَلْأَيْمٰنَ بَعْدَ تَوْكِيْدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمْ ءَللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيْلًا إِنَّ ءَللّٰهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾³. وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾⁴.

وقال النبي: "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؛ من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان".

وبذلك كان شرط الوفاء بالعهد من الدعائم الأولى التي حافظت على كيان المسلمين وهويتهم، وأدام لهم عزّهم؛ وليس هناك من قانون في الدنيا يجعل احترام العهد نابغاً من الإيمان والعقيدة مثل الإسلام، هذه التعاليم والأوامر حول الوفاء بالعهد التي طبقه، وأمر بها الرسول جعلت الثقة بالمسلمين في تعاملاتهم العسكرية كبيرة من قبل الأعداء والحلفاء، وتاريخ الفتوحات الإسلامية يوضح كيف أن كثيراً من الفتوحات تمت سلباً بعد أن أيقن الطرف الآخر أن الجيش الإسلامي حريص على احترام معاهداته، وعدم نقضها، حتى في الحالات التي يكون في نقضها تحقيق النصر السريع والحاسم له، فكان الطرف الآخر يدخلون في

¹ سورة المائدة، الآية: 1.

² سورة الإسراء، الآية: 34.

³ سورة النحل، الآية: 91.

⁴ سورة المؤمنون، الآية: 8.

الإسلام طوعية، ويسلمون البلاد للمسلمين بعد أن تيقنوا بأن هؤلاء المسلمين لا يريدون الحرب، مع أنهم يمتلكون مقومات القوة فيها؛ بل يريدون السلم المبني على نشر مبادئ الإسلام التي هي مبادئ الخير، والمحبة، والسلام.

إنها جوانب من أنسنة الحروب في الإسلام، كما طبقها الرسول والمسلمون من بعده، فقد بُعثَ النبي للناس جميعاً، كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾¹، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾². وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾³.

¹ سورة الأعراف، الآية: 158.

² سورة سبأ، الآية: 28.

³ سورة الأنبياء، الآية: 107.

المبحث الثاني : تحديد مبادئ الحرب من الأدلة القرآنية.

لقد أمر الله عز وجل المسلمين بالبحث عن أسباب النصر، حيث يقول في محكم تنزيله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾¹، في هذا الأمر الرباني بحث دؤوب -قدر الاستطاعة- عن كل مبدأ من مبادئ القتال، للوصول إلى أسباب النصر، وإذا ما التقت أسباب الأرض بأسباب السماء فإن النصر لمن يسعى إليه لا محالة.

وما أسباب الأرض إلا مبادئ الحرب علماً وتطبيقاً، وليست أسباب السماء إلا العناية الإلهية، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك في قوله : بأن أسباب النصر هي أسباب ظاهرة في الجيوش والأسلحة وغيرها، واسباب خفية غير ظاهرة مثل الرعب والخذلان الإلهي.

لقد طبق المسلمون مبادئ حربية تعارف عليها من قبلهم ومن بعدهم فهم لم يكتفوا بأن يكونوا مؤمنين صادقين فحسب بل عاملين، وآخذين بالأسباب حتى يدركوا ما نذروا أنفسهم إليه إما النصر وإما الشهادة، وقد أضاء الرسول القائد ﷺ طريق الفكر العسكري أمامهم فيما وصى بقوله وعمله وتقديره وذلك من خلال سيرته العطرة سرايا وغزوات، فما من غزوة أو سرية إلا وفيها حكمة عسكرية جعلت المسلمين من بعده قادة عظماء، سطوروا بسيوفهم إضافة إلى فكرهم العسكري مبادئ حربية جعلت من قادة الغرب ينهلون منها ما طاب لهم.

وفيما يلي عرض لتلك المبادئ الحربية التي نصت عليها الآيات القرآنية حيث يتبدى الباحث في ذلك بذكر الآيات من سورة الأنفال في المطلب الأول، ثم يثني الباحث بما ورد في آي القرآن الكريم، من هذه المبادئ العظيمة والقواعد الرصينة في المطلب الثاني مستعيناً في ذلك بالله الواحد الأحد.

¹ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

المطلب الأول : المبادئ الحربية في ضوء سورة الأنفال.

أولاً : مبدأ الردع:

الردع هو منع الدولة المعادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها أو منعها من العمل، أو الرد إزاء عمل معين، وذلك باتخاذ إجراءات وتدابير كفيلة بتحقيق الردع¹.

أ. إن الردع المعنوي والمادي للعدو سلماً وحرماً، أي الردع على المستوى السياسي والعسكري للصراع، يرتفع في المفهوم الإسلامي إلى مستوى القانون الأعلى الذي تدخل تحته جميع أنواع مبادئ الحرب أياً كان عددها، فالقرآن يؤكد أن الردع هو غاية ونتاج الإعداد الشامل بجميع القوى والمقومات الشاملة، التي أجملها أمره تعالى في قوله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ٦٠﴾

2

ب. أما على المستوى الاستراتيجي العسكري، وما دونه من مستويات، فإن الردع في المفهوم الإسلامي هو مبدأ مركب، يشتمل على مبدأي الهجوم والدفاع، ومعهما جميع مبادئ الحرب اللازمة لتطبيقها، ولقد تأكدت هذه الحقيقة من سير العمليات الإسلامية في العهد النبوي، كما تأكدت من سياق التوجيه القرآني لتلك العمليات.

إنك لتجد هذه النظرية حاضرة بشكل واضح ضمن النظريات العسكرية للقرآن بل إنها تشكل هدفاً رئيسياً للإعداد في الإسلام حيث قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ

3 اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ﴾

¹ جمال الخلفات وبهاء الدين أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص 90.

² سورة الأنفال، الآية: 60.

³ سورة الأنفال، الآية: 60.

فقد بينت الآية الكريمة أن من الأسباب الرئيسية للإعداد هو إرهاب أعداء الله تعالى وأعدائنا، فضلاً عن إيصال رسالة تهديدية للمتربصين والخائنين والمنافقين الذين لا نعلمهم وقد يكونون من بني جلدتنا ويتسبون لديننا ويمثلون طابوراً خامساً للأعداء بيننا. يقول صاحب تفسير المنار عند هذه الآية: "وذلك إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد ومستعدون له، ومستكملون لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، ذلك الخوف يفيد أموراً كثيرة . أولها : أنهم لا يقصدون دار الإسلام، وثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم فرموا التزموا من عند أنفسهم جزية، وثالثها : أنه ربما صار ذلك داعياً لهم إلى الإيمان، ورابعها : أنهم لا يعينون سائر الكفار".¹

إن مفهوم الإرهاب في القرآن الكريم يحقق نظرية الردع بكل معانيها وجزئياتها، فأقوى وسائل الردع المؤدبة امتلاك القوة، فأنت لا تعلن تهديداً لأحد لكن امتلاك القوة والسلاح يوصل رسالة الردع دون أن تنطق بكلمة تهديد واحدة، ولا يعني ذلك إهمال القرآن لوسائل الردع العملية والتنفيذية بل نجد أن القرآن قد حث عليها فقال سبحانه وتعالى ﴿فَأَمَّا

ثَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾²

فقد تضمنت هذه الآية شرطاً وجوابه، والمعنى إن أسرتهم الأعداء أو إن وجدتكم الأعداء في حالة الحرب، على القول الآخر فأنذروا بهم من خلفهم، بالتنكيل بهم وقتلهم ليتفرقوا.³ إن بعض الأعداء لا يمكن لهم أن يسالموا إلا إذا مرغت أنوفهم في التراب، لذا فقد كان لابد من بعض الوسائل القوية والشديدة لتأديب هذا النوع، وهذا يجسد نظرية الردع بشكل كامل.⁴

¹ رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 59/10

² سورة الأنفال، الآية: ٥٧ .

³ القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير الجامع لأحكام القرآن، 391/4، رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، 46/10

⁴ جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم، ص 2-3

ثانياً : مبدأ سمو الهدف :

قبل خوض أي معركة لابد من تحديد الهدف واختيار القصد، والتذكير الدائم به والمداومة عليه، وإذا كان القصد النهائي والهدف الأسمى لدى الجيوش المتحاربة ذات المقاصد الدنيوية، هو تحطيم إرادة الخصم؛ فلا يصدق هذا الهدف على الجيش الإسلامي الذي خرج لإنقاذ الناس وهدايتهم، وعليه.. فيكون القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الطلب : هو نشر الإسلام وتبليغ دعوة الله تعالى؛ وأما القصد النهائي للجيش الإسلامي في جهاد الدفع فهو نصره المظلومين ودفع البغاة المحتلين.

إن دليل هذا المبدأ هو القياس على النصوص القرآنية، التي حددت مهام وأهداف العمليات الإسلامية ﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَاِنَّ أُنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾¹

ولا يقتصر هذا المبدأ على اختيار الهدف وتحديد المهمة فحسب، وإنما يحرص أيضاً على أن تكون المهمة المخصصة مطابقة ومناسبة للإمكانات والقدرات المعنوية والمادية المتاحة. وهو ما يعبر عنه بمبدأ التكليف بقدر التوسع، وبذلك يتيسر للقوات تطبيق مبدأ المحافظة على الغرض.

ثالثاً : مبدأ حشد القوة :

هذا بالمصطلح الحديث وقد كان يعرف بمبدأ النفير العام : وهو يعني جمع أكبر قوة سواء كانت مادية أو معنوية في مواجهة العدو، بحيث تناسب القوة الموقف، وفي الزمان والمكان المناسبين.²

إن نظرية حشد القوة التي اعتمدها العسكريون كإحدى النظريات العسكرية لها في كتاب الله تعالى ما يشير إليها ويؤكد عليها، ولعل آية الإعداد من أبرز تلك الآيات حيث

¹ سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

² المومني، أحمد محمد، التعبئة الجهادية في الإسلام، ص 237

قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾¹

والإعداد في الآية يشمل العُدَّة وهي وسائل الجهاد فمن ذلك السلاح والركائب والطعام والشراب والملابس والخيام والدواء وكل ما يحتاجه المجاهدون، ويشمل العَدَد وهم المجاهدون وذلك بإعدادهم دينياً وعلمياً وعسكرياً وذلك بتعليمهم العقائد وفنون الحرب وتدريبهم حربياً وعسكرياً.

ويعضد هذه الآية قوله تعالى ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾²

فقد استنفر الله عز وجل في هذه الآية الجميع للجهاد في سبيل الله ومواجهة الأعداء حيث استنفرنا كهولاً وشباناً، خفافاً وثقلاً، ركبناً ومشاةً، زرافات ووحداناً، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء.³

رابعاً : مبدأ الاقتصاد في القوى :

النفير الجزئي كما كان معروفاً من قبل أو مبدأ الاقتصاد في القوى كما يطلق عليه في العصر الحديث : هو حشد أعظم قوة تجاه الغرض الأساسي مع تخصيص القوات الأقل للعمليات الثانوية.⁴

والاقتصاد ينبغي أن يشمل القوى البشرية والقوى المادية، من عتاد وسلاح وممتلكات، لكن من الضروري أن لا يؤثر الاقتصاد في استخدام القوى على النتائج، فلا نستخدم جندياً إلا في الموضع الذي لا بد أن يكون فيه.

¹ سورة الأنفال، الآية: 60.

² سورة التوبة، الآية: 41.

³ الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، 144/2.

⁴ جمال الخلفات وبهاء الدين أسعد، العسكرية الإسلامية وقادتها العظام، ص 99.

والاقتصاد لا يعني البخل وإذا علم القائد أننا بحاجة لقوة في ثغر ما، وبخل بها، يكون بذلك خائناً عسكرياً، وخلاصة هذه المسألة أن توظيف القوى يكون بحسب أهمية الأهداف ومتطلباتها.

وقد سجل القرآن الكريم مبدأ الاقتصاد في القوى في معرض حديثه عن غزوة بدر في سورة آل عمران حيث قال الله تعالى ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ تَصَبُّرًا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَآلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ 1

وفي سورة الأنفال قال في ذات غزوة بدر ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿١﴾ 2

يقول الربيع بن أنس : أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف؛³ ويمثل ذلك قال قتادة.

فتتابع المدد يؤكد نظرية الاقتصاد في القوى فالله تعالى يعلم السر وأخفى وكان بمقدوره أن يمدنا بخمسة آلاف منذ البداية، فجاء التابع ليجسد لنا درساً في اقتصاد القوى، وتوزيعها حسب الحاجة.

خامساً : مبدأ التعاون :

وهذا المبدأ يعني التضامن من أجل الوصول إلى الهدف، وذلك بتوحيد جهود كافة الدوائر والقطاعات.⁴

1 سورة آل عمران، الآية: ١٢٤ - ١٢٥.

2 سورة الأنفال، الآية: ٩.

3 الصابوني، مرجع سابق، 316/1.

4 جمال الخلفات وبهاء الدين، مرجع سابق، ص 105.

لقد وضع المنهج الرباني هذا المبدأ من أجل تحقيق هدف واحد هو توحيد القوى والجهود الإسلامية، والقوات المسلحة، وتوثيق الجهود القتالية في العمليات الحربية معنوياً وفكرياً ومادياً، والسمة الإسلامية الشديدة الخصوصية هنا أن مفعول هذا المبدأ ينبعث مباشرة من العقيدة الإيمانية الراسخة، ومن تشريعاتها الضابطة الملزمة.

وبالنظر في آيات السورة الكريمة نجد اهتماماً واضحاً بمبدأ التعاون حيث يظهر ذلك من خلال قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ، وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾¹ فمبدأ التعاون واضح من مفهوم الآية الكريمة فقد نهانا الله تعالى عن التنازع لأنه يفضي إلى الفشل، في ين أن عدم التنازع ثمرة من ثمرات التعاون.

ويظهر من خلال قوله تعالى ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾² فالآية الكريمة صريحة الدلالة على مبدأ التعاون والتنسيق بين الجند والقادة من جهة، وبين قطعات الجيش المختلفة من جهة أخرى، وبين الجيش وأجزائه والإمام الأكبر أو نوابه من جهة ثالثة.

سادساً : مبدأ المرونة والمناورة :

والمقصود به القدرة على المناورة والانتقال ويعتمد دقة تطبيق مبدأ المرونة بشكل أساسي على متانة التدريب وقوة الإعداد وبراعة التخطيط ومهارة القيادة.³

ومما يدل على مبدأ المرونة والمناورة قوله تعالى ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ﴾⁴ ومعنى التحرف للقتال أن ينصرف المجاهد من جهة إلى أخرى أو من موضع لآخر حسب ما يقتضيه حال القتال، كأن ينحرف من مواجهة الشمس أو الريح إلى استدبارهما، أو ينتقل من مكان ضيق إلى أرحب منه، أو من موضع مكشوف إلى آخر يستره، أو من نزلة

¹ سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

² سورة الأنفال، الآية: ١٦.

³ جمال الخلفات وبهاء الدين، مرجع سابق، ص 102.

⁴ سورة الأنفال، الآية: ١٦.

إلى علو أو العكس ونحو ذلك مما جرت به عادة أهل الحرب ويناسب حال الميدان والحرب والقتال.¹

وهذا التحرف للقتال يكون للمجاهد الفذ، وللفته من الجيش، وللجيش كله، بدليل أن الاستثناء في الآية الكريمة كما أنه يشمل الفرد فإنه يشمل الأكثر من باب أولى للمصلحة، ولكن قد يستلزم هذا إذن الأمير لئلا يفضي إلى التفكك ونحوه.

إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ: (قابلية الحركة)، أصبح يسمى الآن مبدأ: (المرونة)، ذلك لأن (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيراً صحيحاً إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو. إن (المرونة) تعني أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرناً الفكر وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملة وأن تكون خطته بشكل يمكنه من أن يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة وغير المتوقعة.²

سابعاً : مبدأ التفوق النوعي :

أوجب القرآن على المسلم الواحد ألا يفر من قتال فردين من العدو، وجاء ذلك في الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْلَمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾³، ومن ثم فإن تناسب القوى بين المسلمين وبين أعدائهم هو نسب 1 : 2، كما بين القرآن أنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، غير أن المنهج القرآني لم يدع المسألة عند هذا الحد، بل إنه زود المسلمين بالمبادئ، التي إذا طبقتها القلة المسلحة تفوقت نوعياً وتغلبت على التفوق العددي

¹ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط الحلبي 201/9.

² خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، ط6، دار الفكر 456/1.

³ سورة الأنفال الآية: ٦٦.

المعادي، وهذه المبادئ هي الانتقاء، والتدريب، والطاعة، والانضباط، والصبر، والمثابرة، والثبات، والشدة، والغلظة في القتال. ويتدعم هذا التفوق النوعي ويتضاعف مفعوله بمجموعة مبادئ القوة الروحية والتفوق المعنوي، ومما تقدم يتضح أن مبدأ التفوق النوعي هو مبدأ حرب مركب مثل مبدأ الردع.

ثامناً : مبدأ تحريم الخيانة:

أداء الأمانة من صفات أهل الإيمان، وقد عد القاضي أبو يعلى من شعب الإيمان: بأن يكون مأموناً على كل مال وعرض وأمانة، وضد الأمانة الخيانة والتي هي من علامات أهل النفاق، ومن التربية العقائدية للعسكريين التحذير من الخيانة قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾¹. ففي هذه الآية (أنه تعالى أمرهم أن لا يخونوا الغنائم، وجعل ذلك خيانة له ، لأنه خيانة لعطيته وخيانة لرسوله لأنه القيم بقسمها، فمن خانها فقد خان الرسول، وهذه الغنيمة قد جعلها الرسول أمانة في أيدي الغانمين وألزمهم أن لا يتناولوا لأنفسهم منها شيئاً فصارت ودیعة، والودیعة أمانة في يد المودع، فمن خان منهم فيها فقد خان أمانة الناس، إذ الخيانة ضد الأمانة)².

تاسعاً : مبدأ الثبات :

في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَأَثْبِتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾³ توضح أدلة مبدأ الثبات أنه يشتمل على ثبات معنوي أيضاً، فالثبات المادي يكون بخوض القتال بشدة، وإيجابية، وصمود، وصدق، وإخلاص؛ أما الثبات

¹ سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

² الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، 151/15.

³ سورة الأنفال الآية: ٤٥.

المعنوي، وما يصاحبه من اتزان نفسي، فذلك يتحقق لكل من آمن بالله وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، وبأن نصر الله حق لمن ينصره.

عاشراً : التكبير والذكر عند اللقاء :

قال تعالى ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَعِئَّةَ فَاتِبُتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ¹ فكما أمرت الآية بالثبات فإنها أمرت بالاستعانة بالذكر.

قال الإمام القرطبي : وحكم هذا الذكر أن يكون خفيفاً، لأن رفع الصوت في مواطن

القتال رديء مكروه إذا كان الذاكر واحداً، فأما إذا كان من الجميع عند الحملة، فحسن ؛

لأنه يفت في أعضاء العدو. ²

فالتكبير والذكر مبدأ من المبادئ العسكرية التي استخدمها القادة الأوائل، وله آثاره

الإيجابية الكبيرة على نفسية جند المسلمين لقوله تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ

﴿٢٨﴾ ³ إضافة إلى آثاره السلبية على نفسية الأعداء المحاربين كما وصف الله حالهم عند ذكره

سبحانه فقال ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ⁴ وعلاوة على ذلك فإن الذكر سبب من أسباب

النصر كونه طاعة لله جل ثناؤه.

حادي عشر : مبدأ الطاعة:

يستدل على المبدأ من الألفاظ الصريحة الواردة في نص الآية ﴿ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ⁵، ومن قوله تعالى ﴿ يَتَّيِّهَا

¹ سورة الأنفال الآية: ٤٥.

² القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير الجامع لأحكام القرآن، 384/4،

³ سورة الرعد، الآية: ٢٨.

⁴ سورة الزمر، الآية: ٤٥.

⁵ سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾¹

ولقد قرر علماء الفقه والشريعة حكم مبدأ الطاعة بأنه واجب.

ثاني عشر : مبدأ التحريض :

التحريض هو الإعداد والتعبئة المعنوية العقلية للشعب والقوات المسلحة، في أثناء السلم وفي أثناء الحرب، ويشمل التحريض جزئياً تحديد العدائيات، وأسباب ودوافع الحرب، وأهدافها. ولهذا قال ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾² أي حثهم أو مرهم عليه.

وبعد هذا العرض يتبين لنا عظم سورة الأنفال التي حملت في طياتها العديد من المبادئ والركائز والمقومات التي إن طبقها الجيش المسلم في معاركه تفوق وانتصر. فمن خلال ما سبق ذكره على الجندي المسلم أن يعي أهمية هذه المبادئ، ويكفي أن يعلم الجميع أن الأنظمة العسكرية الحديثة اعتمدت وبشكل كبير عليها، فنحن أمة القرآن أولى الناس بقواعدنا من غيرنا، لنتمسك بها ونطبقها على واقع معاركنا ليكون الظفر والغلبة من نصيبنا.

وفيما يلي يستعرض الباحث المبادئ التي ورد التنصيص عليها في مواضع شتى من كتاب ربنا جل جلاله، وهي بمثابة دستور حربي عسكري متين، تتألف قوانينه من هذه الآيات وتلك، فيإلى المطلب الثاني ومع المبادئ المذكورة في سور القرآن الكريم.

¹ سورة الأنفال، الآية: ٤٥ - ٤٦.

² سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

المطلب الثاني : المبادئ الحربية في سور القرآن الكريم.

أولاً : مبدأ غرس عقيدة الجهاد :

قرر علماء الفقه والشريعة أن حكم مبدأ الجهاد واجب، والألفاظ الصريحة الواردة في

نص الآية ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ

مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا

شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾¹، وفي نص الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي

التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ

بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾²، وكذلك ورد الحث عليه في الكثير من الآيات منها

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾³

إن مبدأ الجهاد غير فريضة الجهاد، التي تعني الاستراتيجية الشاملة العليا، فالجهاد

بوصفه مبدأ حرب إسلامي يقتضي بذل أكبر جهد في تحضير وإدارة أعمال القتال سواء كان

هذا الجهد على مستوى الفرد، أو على مستوى التجميع الاستراتيجي، وسواء كان الجهد

مبدولاً بين صفوف القوات المسلحة من أجل إعدادها واستخدامها على أفضل وجه، أو كان

الجهد موجهاً إلى شل قدرة وإمكانيات العدو، وتطبيق هذا المبدأ من مسؤولية القادة

¹ سورة الحج، الآية: ٧٨.

² سورة التوبة، الآية: ١١١.

³ سورة المائدة، الآية: ٣٥.

والمرؤوسين، ويمتد مفعوله إلى مختلف المجالات المعنوية، والنفسية، والعقلية، والمادية، للعمل العسكري¹.

ثانياً : مبدأ صدق النية :

من المسلمات أن صدق النية ركيزة أصيلة من ركائز نجاح الأعمال، وخاصة عمل يعرض حياة الإنسان للقتل وأرضه للسلب، ودينه للخطر، والأعمال بالنيات كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد وصف الله تعالى صحابة رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين بالرجال الصادقين، فقال سبحانه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلاً﴾² فهم أولا مشهود لهم بالإيمان، وهم رجال تنطبق عليهم كل شروط الرجولة حيث الوفاء بعهد الله تعالى، والصبر على البأساء والضراء وحين البأس، فمنهم من وفى بنذره فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم من ينتظر النصر أو الشهادة، وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه كما غير المنافقون وبدلوا.

ثالثاً : مبدأ الثقة بأن الآجال مكتوبة :

ربى القرآن الكريم العسكريين أن منازل الأعداء، لا تقدمهم إلى الموت، كما أن الفرار من الزحف أو ترك الجهاد لا يبعدهم عن الأجل، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يَرُدَّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرُدَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرِي الشَّاكِرِينَ﴾³ وما مات محمد ﷺ ولا يموت غيره من خلق الله إلا بعد

¹ الموسوعة الإلكترونية، مقاتل من الصحراء.

² سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

³ سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت، فأما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال.¹

رابعاً : مبدأ طاعة القائد :

وعندما نقول طاعة القائد إنما نعني به القائد المسلم الذي لا يأمر إلا بمعروف ولا ينهى عبداً إذا صلى، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾²

وقال سبحانه في طاعة أولي الأمر الملحقه بطاعة الله ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾³، قال الفخر الرازي : هذه الآية إنما نزلت في شأن الوقائع المتعلقة بالحروب والجهاد.⁴

خامساً : مبدأ التعاون ونبذ الفرقة :

والأمر بالتعاون بين المسلمين من أصول الدين وقواعده حيث أن الأمة الإسلامية أمة واحدة فربها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾⁵، وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾⁶، وحتى تحافظ هذه الأمة على وحدتها أمرها الله تعالى بالتعاون فيما بينها والتلاحم على الحق ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

¹ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 6/108.

² سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

³ سورة النساء، الآية: ٥٩.

⁴ الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، 10/160.

⁵ سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

⁶ سورة المؤمنون، الآية: ٥٢.

اللَّهِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾¹، وقد حذر الله تعالى من عواقب التنازع والشقاق والتفرق فقال
تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^٤ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾²

ومن هنا فإن الله تعالى قد صرح في القرآن الكريم بأنه يجب المقاتلين المتحدين تحت راية
الإسلام المتعاونين فيما بينهم النابذين لبدور الشقاق والنزاع فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ ﴿٤﴾³

سادساً : مبدأ الصبر والأناة :

من المبادئ الإسلامية التي يجب على الجندي المسلم أن يتخلق بها مبدأ الصبر، لقوله
تعالى ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾⁴، فالصبر مطلوب بصفة حتمية في مجابهة العدو قال تعالى في
شأن غزوة بدر الكبرى ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ
ءَأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾⁵، فمع الصبر يكون المدد ومع الصبر يكون الفلاح قال
تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾⁶
⁶، يقول ابن جزى الكلبي : وصابروا أي صابروا عدوكم في القتال ؛ ورابطوا : أقيموا في
الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد.⁷

¹ سورة المائدة، الآية: ٢.

² سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

³ سورة الصف، الآية: ٤.

⁴ سورة العصر، الآية: ١ - ٣.

⁵ سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

⁶ سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

⁷ ابن جزى، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، 1/128.

والصبر هو أحد أعمدة البر ورافد من روافد التقوى، قال تعالى في آية البر ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾

فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾¹

ولقد صبر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام البررة حتى مستهم البأساء والضراء وزلزلوا فكان نتاج ذلك نشر الإسلام في أرض الله الواسعة قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾² ﴿٣١٤﴾، فكم فقدوا من أجل الإسلام من أهل وولد وبيت ومال، وكم ذاقوا من المر أواناً.

ونظير آية البقرة آيات تحث على الصبر والتخلق بأخلاق الصابرين قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾³ ﴿١٤٤﴾، وقال جل شأنه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ وَأَخْبَارِكُمْ﴾⁴ ﴿٣١﴾، ولكون الصبر من أقوى أسباب النصر قال عليه الصلاة والسلام ((وأن النصر مع الصبر))⁵، فعلى الجندي المسلم أن يصبر ويصابر كي يحوز واحداً من مبادئ الجندية في الإسلام الحنيف.

سابعاً : مبدأ تحريم الظلم:

قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁶ ﴿١١٠﴾، إن التوجيه الإلهي في هذه الآية للعسكريين بأن (لا تقتلوا وليدًا ولا امرأةً، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

¹ سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

² سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

³ سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

⁴ سورة محمد، الآية: ٣١.

⁵ مسند أحمد، 307/1، رقم الحديث 2804.

⁶ سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

الْمُعْتَدِينَ { الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرَّم قتلهم من نساء المشركين وذرائعهم).¹

ومن أقوى أسباب عدم تولى الولايات على الناس الظلم، ولهذا لما ابتلى نبي الله إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - بالإمامة، طلب من ربه أن تستمر الإمامة في ذريته، فقال له سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا

يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾²

إن من معاني هذه الآية أن لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آله الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟

ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها.³

ثامناً : مبدأ نصرة المظلوم:

من الصفات الإيمانية التي ربي القرآن الكريم العسكريين عليها نصرة المظلوم، قال تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾⁴

ففي هذه الآية يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين بمكة، من الرجال والنساء والصبيان المتبرمين بالمقام بها؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى: { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ } يعني: مكة. ثم وصفها بقوله: { الظَّالِمِ

¹ السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 71.

² سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

³ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 498/2.

⁴ سورة النساء، الآية: ٧٥.

أَهْلَهَا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وِيًّا وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا { سخر لنا من عندك وليا وناصرًا.
وثبت عن ابن عباس أنه قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.¹

ولأهمية نصره المظلوم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب اعتبر خذلان المظلوم من الكبائر.²

تاسعاً : مبدأ عدم التأثر بالشائعات :

لسنا مبالغين إن قلنا بأن الشائعات الكيدية لو تمكنت من سامعيها وراجت فإنها
تعصف بكل شيء، وتحطم المعنويات، وتغرس الجبن والخور، لذا أمرنا الله تعالى ألا نستجيب
لها ودعانا سبحانه للتثبت من الأخبار فقال سبحانه ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ³

عاشراً : مبدأ اليقين بأن النصر من عند الله وحده :

فالله عز وجل وحده هو الذي يكسب الأشياء خواصها، فالطعام لا يشبع بذاته،
والشراب لا يروي بذاته، والسكين لا يقطع بجدته، ولو كان يقطع بجدته ما سلب منه
خاصية الذبح يوم أراد إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام.

وعلى هذا فما التجهيزات العسكرية إلا استجابة لله ورسوله في الأخذ بالأسباب، قال

تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ⁴ ﴿ وَإِلَّا فَإِنِ اللَّهُ تَعَالَىٰ يَنْصُرَ الْفِتْنَةَ

القليلة على الفئة الكثيرة بإذنه سبحانه لا بسلاحها، أليس هو القائل ﴿ قَالَ الَّذِينَ

يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

¹ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، 314/2. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير (ومالكم لا تقتلون في سبيل الله والمستضعفين) حديث رقم 4222.

² التميمي، محمد بن عبد الوهاب، كتاب الكبائر، ص 215

³ سورة الحجرات، الآية: ٦.

⁴ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

الصَّكِرِينَ ﴿٢٤٩﴾¹، ولقد أكرم الله الفئة القليلة في بدر بتغيير نوايس العين ومسار رؤياها

كما بين الله تعالى ذلك في قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَعَثَىٰ ذَاتَ الْقُرْبَىٰ بِضِرَّةٍ فَكَرِهْتَ وَيَمْسُكُ الذِّمِّيَّ بِضِرَّةٍ فَغَضِبْتَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

سكيد الله وأخرى كفرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إنك

في ذلك لعبرة لأول الأبصير ﴿١٣﴾²، وفي سورة الأنفال بين الله حقيقة ذلك التغيير

بقوله تعالى ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَدْنَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَنَنْزَعْنَكُمْ

فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي

أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

﴿٤٤﴾³ والذي يؤثر في آلة الحرب إصابة للهدف هو الله سبحانه تعالى وبارادته، يقول

سبحانه ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾⁴

فيوم أن نكون عباداً لله حقاً، يومها سينصرنا الله مهما كان في المقابل من قوى على

اختلاف مسمياتها قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ

جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾⁵

فوعد الله لا يتخلف ولكننا نحن الذين نتخلف ..

حادي عشر : مبدأ الشورى :

وحكم هذا المبدأ كسابقه واجب كما قرره علماء الفقه والشريعة، ومن النصوص

الصريحة الواردة في هذا المبدأ قوله تعالى ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

¹ سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

² سورة آل عمران، الآية: ١٣.

³ سورة الأنفال، الآية: ٤٣ - ٤٤.

⁴ سورة الأنفال، الآية: ١٧.

⁵ سورة الصافات، الآية: ١٧١ - ١٧٣.

الْقَلْبِ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾¹

ثاني عشر : مبدأ الحذر :

والحذرُ : هو توقّي المكروه، قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حُدُودًا حِدْرِكُمْ فَأَنْفِرُوا
تُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾² ، بالاستعداد لعدوكم، فاخرجوا لملاقاته جماعة بعد جماعة أو
مجتمعين.

أ. هذا المبدأ يقابله في المصطلح الحديث مبدأ الأمن، إلا أن مبدأ الحذر الإسلامي
أقوى وأعم وأشمل وأتم، فالحذر فريضة إسلامية دائمة ملزمة للأمة كلها، سلماً وحرماً، في
جبهة القتال وفي الجبهة الداخلية، ودليل مبدأ الحذر في نصوص سورة النساء، والتي دلت
بالمعنى الضمني على مبدأ الاستعداد القتالي الدائم، ولقد بلغ من قوة الإلزام بفريضة الحذر أن
عدل الله سبحانه من كيفية أداء فريضة الصلاة، بحيث يمكن أداء الفريضة والحذر الكامل
على أتم وجه، حتى في مواقيت الصلاة، فقال تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ
فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ
طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
تَغْلُوبُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ
بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾³

¹ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

² سورة النساء، الآية: ٧١.

³ سورة النساء، الآية: ١٠٢.

ب. لمبدأ الحذر أبعاد شتى، ففي السلم تحاط الأمة بحماية حدودها بالرباط والإعداد والاستعداد الشامل الدائم، طبقاً لتقنيات العصر والتطور. كما يتم تأمين الدولة، خارجياً بالتحالفات وغيرها من أوجه العمل السياسي العسكري، وتؤمن داخلياً بالولاء الإسلامي، وبالتحريض، وتأمين استقرار المؤخرة، أما في ميدان القتال فإن وحدة وكفاءة القيادة تعمل على تأمين حرية عمل القوات بالاستطلاع والمخابرات، وبالسرية، والخداع، وبالتعاون، والترابط، والتكامل، وبتعزيز الأهداف المكتسبة، وبغير ذلك من مبادئ الحرب الإسلامية، التي تمنح الدولة وقواتها المسلحة أكبر قدر من الأمن الموثوق به والمعتمد عليه، والذي ينعكس إيجابياً على مستويات الصراع لصالح المسلمين.¹

ثالث عشر : مبدأ المفاجأة والمباغطة :

وهو أهم مبدأ من مبادئ الحرب. وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق (للكتمان) قبل أن يفتن إليه الألمان ويستعملوه في الحرب العالمية الثانية. والمباغطة هي: إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له، والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي إلى المباغطة. والمباغطة أهم مبدأ من مبادئ الحرب. المباغطة تكون إما بالمكان أو بالزمان أو بالأسلوب. فالمباغطة بالمكان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. والمباغطة بالزمان: ضرب العدو من مكان لا يتوقعه. والمباغطة بالأسلوب: ضرب العدو بأسلوب حربي لا يتوقعه العدو سواء أكان ذلك بخطة جديدة أو سلاح جديد. والمباغطة بالأسلوب من مزايا القائد العبقري. وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك كما يلي:

¹ الموسوعة الإلكترونية، مقاتل من الصحراء.

1. بذكر رباط الخيل في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾¹،
فإن «الخيال» تعبير يشير إلى سرعة الحركة والمبادأة.

2. وبذكر كل ما يعدو ويغير ويثير الغبار ويرسل الشرر من أدوات الهجوم، (ومنها

الخيال وما يقوم مقامها حديثاً، مثل: (الدبابات، والمدرعات)، وهو ما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَالْعَدِيدَاتِ صَبْحًا ۝١ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ

جَمْعًا ۝٥﴾²، ففي هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التي يُسمع لأنفاسها

صوت هو الضبح من شدة الجري، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قرحها للأرض

الحجرية، والتي يهجم بها فرسانها على العدو في وقت الصباح، فتدخل وسط جمع الأعداء

فتشتته.

رابع عشر : مبدأ الأمن :

ففي قوله تعالى ﴿وَالْعَدِيدَاتِ صَبْحًا ۝١﴾³ هي الخيل حال كونها تعدو وعلى ذلك

عامة أهل التفسير واللغة .

فقد قيل كانت تكعم أي يشد فاهها بشيء يوضع فيه لئلا تصهل فيعلم العدو بهم

فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة.⁴

وقال الفراء : الضبح أنفاس الخيل إذا عدت.

¹ سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

² سورة العاديات، الآية: ١ - ٥.

³ سورة العاديات، الآية: ١.

⁴ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، 680/7.

فترى هذه الآية تتضمن مبدأ الأمن، فإن السرعة وكنم الصوت إنما هي إجراءات أمنية للمحافظة على سلامة الجند والقادة المغيرين على الأعداء.

خامس عشر : مبدأ الهجوم والمبادأة :

إن الهجوم الخاطف والسريع يربع العدو وبالتالي فإن العدو لا يقوى على مواجهته بسهولة، ويستخدم هذا النوع من الهجوم غالباً للتغلغل القصير المدى في مناطق العدو، وذلك لتحقيق أهداف مرحلية.¹

ومن الآيات الدالة على هذا المبدأ قوله تعالى ﴿ فَأَلْمُورِبَاتِ قَدَحًا ۚ ﴾ ﴿ فَأَلْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۚ ﴾

2

والمعنى أن الخيل العادية لشدة سرعتها تحول صهيلها إلى ضبح، وتحولت حوافرها إلى سنابك تضرب الصخر والحجر فتوري منهما الشرر، والبدء بالهجوم متحقق في الإغارة.

سادس عشر : مبدأ التغطية :

إذا ما تأملنا قوله تعالى ﴿ فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا ۚ ﴾ ³ وهو في وصف الخيل حينما تثير غباراً شديداً بعدوها في المكان الذي أغارت فيه نجد أن من أبرز المبادئ التي يحققها الغبار المثار مبدأ التغطية ؛ حيث أنه في ظل الغبار المتصاعد والمتراكم تضعف الرؤية ويصعب تحديد الأهداف، ويقع العدو في حيرة شديدة، ويمكن أن نستعويض عن الغبار في زمننا بالقنابل الدخانية، بحيث تنفذ الضربة الأولى للعدو، وبعد ذلك تضرب القنابل الدخانية ويتم تنفيذ ما

¹ المومني، أحمد محمد، التبعة الجهادية في الإسلام، ص 209.

² سورة العاديات، الآية: 2-3.

³ سورة العاديات، الآية: 4.

تبقى من أهداف في ظل ربكة العدو وحيرته، وقد يستعاض عنها بإشعال الإطارات، أو خنادق النفط ... ونحوها.¹

سابع عشر : مبدأ تحديد موضع الضرب (الاختراق) :

كذلك في سورة العاديات وامتداداً للآيات السابقة نجد في قوله تعالى ﴿ فَوَسَّطْنَا بِهِ ﴾² جمعاً ٥ تحديدًا للموضع الذي يستهدفه المغيرون لنجاح غارتهم، وتحقيق هدفهم، وإن ضرب وسط مجمع العدو يحقق جملة من الإنجازات منها :

ضرب قيادة الأعداء: فالقيادة غالباً ما تتمترس في الوسط لبعدها عن الخطر الذي يهدد الأطراف، ذلك أن الوصول للوسط في بداية الهجوم أسهل بكثير من الوصول إليه عند ضرب الأطراف، إذ أن الإجراءات الأمنية المتخذة قبل الإغارة تكون أقل بكثير من الإجراءات المتخذة بعد بداية الإغارة، وبالتالي يمكن إصابة القيادة بشكل سهل .

تفريق جمع الأعداء: إن ضرب الوسط يعني أن عملية الفرار ستتخذ طريقها في غير اتجاه منطقة الوسط، وكلما اتسعت دائرة هروبهم زاد تفرقهم، وتمكنت مجموعة الإغارة من تنفيذ مهامها الرئيسية .

إرعاب الأعداء وإرهابهم: إن ضرب الوسط يعني سقوط كل أنظمة الحماية ونظريات الأمن التي وضعها الأعداء، وهذا يحمل في طياته تدميراً نفسياً للقيادة، ويمثل شبحاً مرعباً لجميع الجنود، فإذا لم تستطع القيادة أن تحمي مقرها فهي عن حماية غيرها أعجز وبالتالي تنزع الثقة من القيادة، ويسود الشك في نفوس كل الجنود، وينغرس الرعب والخوف في قلوبهم.³

خلاصة ما تقدم :⁴

¹ جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم، ص 43.

² سورة العاديات، الآية: ٥.

³ جمال الهوبي، عبدالهادي الأغا، أصول الحرب كما يعرضها القرآن الكريم، ص 44.

⁴ خضر، عبدالفتاح بن محمد، المبادئ العسكري في ضوء القرآن الكريم، ص 31 بتصرف وإضافات عدة.

وبعد سباحة علمية في جنبات القرآن الكريم من خلال موضوع المبادئ الحربية يستطيع

الباحث تلخيص الآتي:

1. أن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي الأصل الأصيل والركن الركين في غرس وتأصيل مبادئ الجهاد.
2. أن صدق النية مع الله تعالى من أقوى أسباب النصر على الأعداء.
3. من أهم الصفات التي تميز الجندي المسلم الأمانة، وهي من صفات أهل الإيمان، فيجب أن يكون الجندي المسلم بعيداً عن كل ما يقرب للخيانة العسكرية والمدنية، مأموناً على كل نفس ومال وعرض.
4. الهدف الأسمى من جهاد الطلب نشر الإسلام وتبليغ الدعوة الإسلامية، أما في جهاد الدفع فهو نصرة المظلومين ودفع البغاة المحتلين.
5. أن يتربى المسلمون على نصرة بعضهم لاسيما المستضعفين منهم.
6. ظلم الجيش لنفسه ولغيره يمنعه من نيل المقامات العلى، وأسماها الإمامة في الدين، فلكي ينتصر المسلمون وينالوا الإمامة الدينية والدينية لابد من التحلي بالعدل الذي قامت به السماوات والأرض، وعدم التعدي منه إلى الظلم.
7. من أقوى المبادئ الحربية مبدأ الردع، فهو يجسد عنصر تخويف للدول المعادية، وتأديب لحلفائهم من المتربصين والخونة والمنافقين، لمنعهم من قصد دار الإسلام بسوء.
8. الثبات المعنوي كالاتزان النفسي، والثبات المادي كالصمود والقتال بشدة عنصراً مهماً لكسب رحي المعركة.
9. الموت نهاية كل حي، ومادام أن الآجال محددة والأعمار بيد الله تعالى، فلن يعصم المرء فرار ولا هروب ولا تولّ من الموت، إذا حان مواعده.
10. التكبير وذكر الله تعالى وصدق الالتجاء إليه له بالغ الأثر على نفسية جند المسلمين، كما أنه في المقابل يؤثر سلباً على نفسيات أعداء الله المحاربين.

11. التعبئة المعنوية لكافة الناس وبخاصة للجنود المقاتلين أثناء السلم والحرب يهيئ النفوس ويشحذ الهمم ويقوي العزائم، وذلك بالحث على الجهاد والتذكير بفضله ودوافعه وأهدافه، ودراسة أحكامه والالتزام بأدابه.
12. الأخذ بعين الاعتبار مسألة تناسب القوة مع الموقف والزمان والمكان، لحشد العدة والعتاد بما لا يؤثر على النتائج، فيتم التخطيط المسبق لتحديد احتياج المعركة من القوى البشرية والمادية وآلية الاستفادة من تلك القوى.
13. على الجندي المسلم أن يتدرب تدريباً جيداً، فقطرة العرق في التدريب توفر قطرة الدم في المعركة.
14. من المبادئ الواجبة على الجندي المسلم مراعاتها طاعة قائده، فطاعة أولي الأمر واجبة بنص القرآن الكريم.
15. على الجنود المسلمين التعاون فيما بينهم، ونبذ التنازع وكل ما يوجب الفرقة بينهم، لأن نهاية الفرقة والشقاق الهزيمة والعياذ بالله تعالى من ذلك.
16. طالما فرض على المسلم الحرب فعليه أن يستبسل في مواجهة عدوه بكل شراسة وبسالة وليعلم أن القوة تستمد ممن له القوة جميعاً سبحانه.
17. على الجندي المسلم الاعتقاد الجازم بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.
18. الحذر من سماع الإشاعات وتصديقها، فهي موهنة لقلب المحارب مضعفة من عزمه، فلا يستمع المجاهد إلا من الموثوق به من الأخبار.
19. اليقين المطلق بأن النصر من عند الله القوي العزيز.
20. التزام هدي النبي ﷺ في إشراك غيره من أهل المشورة والرأي السديد، وعدم التفرد في اتخاذ القرار.
21. توخي الحذر بالاستعداد التام للأعداء وسد الثغرات وتأمين حرية عمل القوات، باستخدام كافة الأساليب الممكنة للقيام بذلك.

22. السرية والكتمان من أهم ما يجب العناية به، وينبني على ذلك كافة الأساليب القتالية

الناجحة، كالسرعة والسبق، والمفاجأة والمباغتة، والهجوم والمبادأة.

23. التدرب على المرونة أو ما يسمى بقابلية الحركة والقدرة على الانتقال لكسب الفرص

وتحقيق الانتصار في أقل وقت ممكن.

24. التغطية والتعتيم عقب ضرب الهدف مربكة للعدو ومسهلة للحركة.

25. استهداف مركز قيادة الأعداء في بداية الهجوم أسهل منه فيما بعد، ومن فوائده

اضطراب الأعداء وتفرقهم وقذف الرعب في قلوبهم، وذلك يمثل تدميراً نفسياً للقيادة.

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى المبحث الثالث لدراسة تطبيق هذه المبادئ في حروب المسلمين

ومعاركهم ابتداءً بالوقوف مع السيرة العسكرية للقائد الأعلى ﷺ، ومن ثم تطبيقها في

الفتوحات الإسلامية وهذا ما سيتم طرقة في المبحث الثالث.

المبحث الثالث : تطبيق مبادئ الحرب في السيرة النبوية العسكرية، والفتوحات الإسلامية.

إن المتتبع لسيرة النبي ﷺ ومن بعده من القادة المسلمين الناجحين ليجدها حافلة بكل ما تقدم تفصيله من مبادئ الحرب وقيمها الأصيلة.

وفي هذا المبحث سنستعرض في المطلب الأول منه بعض تطبيقات تلك المبادئ العظيمة في واقع غزوات الرسول القائد ﷺ، وكيف كان تعامله مع الحرب، في ظل استخدامه لهذه المبادئ التي كانت سبباً في النصر على الأعداء، وفي المطلب الثاني كذلك استعراض لما جاء من تطبيقات لهذه المبادئ في عصر الفتوحات الإسلامية في ضوء معركتين عظيمتين وهما: اليرموك والقادسية.

المطلب الأول : تطبيقها في سيرة القائد الأعلى ﷺ¹.

كان الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم يعرف مبادئ الحرب بالفطرة السليمة التي تدل على استعداد الفطري الممتاز للقيادة.

وقد طَبَّقَ الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم هذه المبادئ في معاركه كلها، مما كان له أثر حاسم في انتصاراته.

لقد تطرقنا عند بحث أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم العسكرية الى أمثلة كثيرة من تطبيقه العملي لمبادئ الحرب العشرة: اختيار المقصد وإدامته، والتعرض، والمباغته، وحشد القوة، والاقتصاد بالمجهود، والأمن، والمرونة، وإدامة المعنويات، والأمر الادارية. وسنذكر بعض هذه الأمثلة، للدلالة على تطبيق هذه المبادئ بكفاية نادرة فذة تدعوان الى الاعجاب والتقدير الشديدين.

أولاً : اختيار المقصد وإدامته² :

كان الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم يختار مقصده بالضبط، ويفكر في أقوم طريقة للوصول إليه، ثم يقرّر خطة مناسبة للحصول عليه.

لقد ظهر مبدأ: (اختيار المقصد) في أول معاهدة عقدها الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة، تلك المعاهدة المعقودة بين المسلمين من جهة والمشركين ويهود من أهل المدينة من جهة أخرى، فنصّت على أنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.

¹ نظراً لضيق الوقت فإنني أسوق هذا المبحث تكميلاً لفائدة البحث نقلاً عن كتاب الرسول القائد، للواء محمود شيبث خطاب، لأهميته.
² اختيار المقصد وإدامته: في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح. إن المقصد النهائي هو تحطيم إرادة العدو على القتال. يجب أن توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الأعلى، ولكن لكل منها مقصد محدود يجب أن يعرف بوضوح.

إن قريشا أخرجت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخرجت أصحابه من مكة ظلماً وعدواناً، فمن حقه أن تكون قريش (مقصده) الحيوي الذي يختاره.
ولعل من أبرز أمثلة: (اختيار المقصد) ما فعله الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة الحديبية.

لقد كان (مقصده) من تلك الغزوة التأثير في معنويات قريش من غير قتال، فخرج محرماً واستصحب أسلحة الراكب، فلما علم باقتراب قوات قريش من قواته، ترك الطريق العام إلى طريق فرعية وعرة للتملص من القتال، حتى وصل بقواته إلى (الحديبية) ، وبقي هناك مصراً على (مقصده) هذا، فأفسح المجال للمفاوضات. وعندما هاجم قسم من المشركين معسكر قواته وألقى المسلمون القبض على المهاجمين، أطلق سراحهم دون أن يلحق بهم أذى. وبقي مصراً على (مقصده) في عدم محاربة قريش، وفي إظهار نياته السلمية، حتى تمّ له عقد صلح الحديبية، على الرغم من تدمر قسم من أصحابه من هذا الصلح. إن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان (يختار مقصده) بدقة تامة ولا ينسأه أبداً في كل أعماله العسكرية وغير العسكرية.

ثانياً : التعرض¹ :

يمكن اعتبار كل غزوات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعرضية ما عدا غزوتي (أحد) و (الخندق) ، إذ أن المشركين هم الذين حشدوا قواتهم في منطقة المدينة وتعرضوا بالمسلمين. لقد استطاع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثقتي الأساليب الحصول على المعلومات عن نيات أعدائه قبل وقت مناسب، وبذلك استطاع أن يتعرض بأعدائه ويقضي على نياتهم العدوانية.

¹ التعرض: هو الهجوم على العدو لسحقه، ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده.

إن التعرض ليس معناه التحرش، بل معناه: الروح الهجومية التي يتحلى بها القائد، لأن الدفاع وحده لا يؤدي إلى النصر الحقيقي بل إلى نصر موضعي فقط في حالة نجاحه، أما التعرض فيؤدي في حالة نجاحه إلى النصر.

ومن المهم أن نذكر هنا، أن مبدأ (التعرض) التي طبقه الرسول صلى الله عليه وسلم، كان دفاعاً عن الإسلام، وحماية للدين الحنيف، وحرصاً على حرية نشره، ولغرض إقرار السلام، وبذلك طبق المبدأ التعبوي القائل: إن التعرض هو أفضل وسيلة للدفاع.

ثالثاً : المباغثة¹ :

المباغثة هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعداً له، والكتمان من أهم الوسائل المهمة التي تؤدي للمباغثة.

إن الكتمان يتم إما بإخفاء استعداداتنا أو بإخفاء نياتنا، أو باستعمال أسلحة جديدة أو باستعمال الأسلحة الموجودة بطريقة جديدة.

والمباغثة إما أن تكون في المكان أو في الزمان أو في الأسلوب، ولقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ (المباغثة) بكل هذه الحالات، حتى يمكن اعتبار غزواته نماذج رائعة لتطبيق أساليب المباغثة.

كانت المدينة هي (القاعدة الأمنية) للمسلمين، ولكنها كانت تعج ب (الرتل الخامس)² «2» الذين لا يريدون خير المسلمين، ويعملون على إحباط جهودهم بشتى الطرق والأساليب.

¹ المباغثة: المباغثة أقوى العوامل وأبعدها أثراً في الحرب، وتأثيرها المعنوي عظيم جداً، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم. وفيما يلي بعض الوسائل التي يمكن الحصول بها على المباغثة: (1) بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية وبكتمان جسامه القوات الاحتياطية. (2) بالتنقل السريع للقطعات من نقطة إلى أخرى تمهيداً لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو. (3) باستخدام الأرض الوعرة أو الصعبة أو بعبور الموانع التي تعتبر غير قابلة للعبور. (4) باستخدام أسلحة جديدة غير متوقعة أو أساليب تعويية جديدة.

² الرتل الخامس: كناية عن الجواسيس والوكلاء والعيون والأرصاد.

من هؤلاء (الرتل الخامس) يهود والمنافقون وعيون قريش من الأعراب وعيون الروم من الأنباط، وكان كل هؤلاء ينقلون أخبار المسلمين الى أعدائهم كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا. ولكنّ الرسول صلّى الله عليه وسلم حرص على كتمان نيّاته حرصا شديدا، فكان إذا أراد غزوة ورّى غيرها، فينقل (الرتل الخامس) تلك المعلومات الخاطئة الى أعدائه، مما يؤدي الى بلبلة أفكار أعداء المسلمين.

ومن أمثلة الكتمان الشديد، تلك (الرسالة المكتومة) التي أرسل بها مع عبد الله بن جحش.

لقد أمر الرسول صلّى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش ألا يفتح تلك الرسالة إلا عند وصوله موضع (نخلة) بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وفهم مضمونها مضى في تنفيذها؛ وبهذه الطريقة لم يستطع أحد من أهل المدينة على اختلاف أهوائهم وميولهم، أن يعرف نيّات الرسول صلّى الله عليه وسلم ولا واجب سرية عبد الله وهدفها. وقد أخفى نيّاته في غزوة الفتح حتى عن أهله الأقربين وصديقه الحميم أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلم وهي تهيء جهاز الرسول صلّى الله عليه وسلم، فقال لها: (أي بنيّة! أأمركم رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن تجهّزه)؟ قالت: (نعم، فتجهّز). قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (فأين ترينه يريد)؟ قالت: (والله لا أدري).

بهذا الكتمان الشديد، استطاع الرسول صلّى الله عليه وسلم أن يحرك جيشا كبيرا قوامه عشرة آلاف مسلم لفتح مكة دون أن تستطيع قريش معرفة وقت حركته ولا نيّاته حتى وصل الجيش الى ضواحي مكة، فاضطرت قريش على الاستسلام. ومن أمثلة المباغته في المكان غزوة بني لحيان، فقد تحرك الرسول صلّى الله عليه وسلم بقواته شمالا باتجاه الشام حتى لا تعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي، فلما انتشرت أخبار

حركة المسلمين الى الشمال، عاد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقواته فجأة باتجاه بني لحيان، وبذلك باغتهم في المكان.

وفي غزوة (خيبر) تحرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى (الرجيع) قريبا من ديار غطفان، وبعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان، عاد بقواته الرئيسة الى خيبر، وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين.

ومن أمثلة المباغته في الزمان غزوة بني قريظة، إذ تحرك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم في وقت لا يتوقعونه، فشل معنوياتهم واحتفظ هو بالمبادأة حتى نهاية المعركة. كما أن مسير الاقتراب الذي أجراه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة خيبر بهدوء وسكينة حتى وصل موضع خيبر ليلا وأكمل تطويقها في نفس الليلة دون أن يستطيع يهود معرفة وقت وصوله وتطويقه لقصبتهم، وهذا المسير يعتبر مباغته في الزمان. ومن أمثلة المباغته في الأسلوب، قتال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسلوب (الصف) في غزوة (بدر) الكبرى تجاه قريش التي قاتلته بأسلوب (الكرّ والفرّ) ، ومن الطبيعي أنّ أسلوب (الصف) له الأرجحية على أسلوب (الكر والفر) من الناحية العسكرية. كما أن حفر الخندق في غزوة الأحزاب كان مباغته في الأسلوب أيضا، لأنّ العرب لم تكن تعرف إنشاء الخنادق لغرض الحماية في الحصار.

وقد استخدم المنجنيقات والدبابات في غزوة حصار الطائف، وهذا مباغته في الأسلوب أيضا.

إن القائد العبقري هو الذي يطبق مبدأ المباغته في معاركه، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طبق هذا المبدأ في كل معاركه، مما كان له أعظم الأثر على نتائجها الحاسمة.

رابعاً : حشد القوة¹ :

منذ نزل الوحي على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم فأصبح رسول الله، وهو يعمل جاهداً، في سبيل نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ وانتشار الدعوة معناه ازدياد قوة المسلمين وإكمال حشدهم لاستخدام قواهم في المكان والزمان المناسبين.

وهجرته الى المدينة من الناحية العسكرية، معناها حشد المسلمين في منطقة واحدة ليكونوا تحت قيادة واحدة.

ولم يبدأ الجهاد في الإسلام، إلا بعد إنجاز حشد المسلمين، إذ أصبح المسلمون بدرجة من القوة يستطيعون معها الدفاع عن الاسلام.

لقد رأينا في بيعة (العقبة الثانية) كيف انكشف للمشركين أمر هذه البيعة، وكيف أظهر الأنصار في حينه عدم اكتراثهم بخطر انكشاف بيعتهم.

قال سعد بن عباد: (يا رسول الله، والله الذي بعثك بالحق إن شئت، لنحملنّ على أهل (منى) غداً بأسيا فإنا) ولكنّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلم كان أبعد نظراً وأعظم من أن تؤثر فيه العاطفة، فقال له: (لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكم) ... فلما أنجز الرسول صَلَّى الله عليه وسلم كل استعدادات حشد المسلمين في المدينة، وعاهد أهلها من يهود والمشركين، بدأ القتال (فعلاً) ، لأن قوات المسلمين حينذاك أصبحت من الناحيتين المادية والمعنوية قادرة على حماية الدعوة وصيانة حرية الرأي. إنّ الرسول صَلَّى الله عليه وسلم طبّق مبدأ (الحشد) في كل غزواته، ولم يتردّد أبداً في حشد أكبر قوة مادية ومعنوية في كل معركة خاضها.

خامساً : الاقتصاد بالجهود² :

¹ حشد القوة: هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في الزمان والمكان الجازمين.
² الاقتصاد بالجهود: هو استخدام أصغر القوات للأمن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر أو صد قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة. إن الاقتصاد بالجهود يدل على الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على حشد القوى المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين.

راعى الرسول صَلَّى الله عليه وسلم مبدأ (الاقتصاد بالمجهود) في كل غزواته، ولم يندب قوة لواجب ما إلا وهي كافية لذلك الواجب من كل الوجوه.

إنّ نظرة بسيطة إلى الملحق (ن) ومقارنة قوات المسلمين بقوات أعدائهم، تظهر بوضوح مقدار حرص الرسول صَلَّى الله عليه وسلم على تطبيق مبدأ الاقتصاد بالقوة.

سادساً : الأمن¹:

لقد أمّن الرسول صَلَّى الله عليه وسلم حماية قواته في كل غزواته، وبذل غاية جهده لمنع العدو من الحصول على المعلومات، وبذلك طبق مبدأ الأمن.

إنّ دوريات الاستطلاع والطلائع والساقات التي كان يؤمّن بها الرسول صَلَّى الله عليه وسلم في مسير الاقتراب وعند العودة من غزواته، كان لغرض حماية قواته من مباغتة العدو لها. كما أنّ تأمين الحراسات والعسس هو لحماية قواته أيضا من مباغتة العدو لها. وكما حرص الرسول صَلَّى الله عليه وسلم على الحصول على المعلومات من أعدائه بشتى الوسائل كما رأينا سابقا، فقد حرص على منع العدو من الحصول على المعلومات عن المسلمين بشتى الوسائل أيضا...

لقد طبّق مبدأ الكتمان في كل أعماله، وحثّ المسلمين على حفظ الأسرار وعدم إباحتها، وأمر أن يسارع المسلمون بإخباره عن كل حادث مهم.

والحق أن المتبع لحياة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم يعجب أشد الإعجاب بمعرفته فورا بكل المعلومات التي تممه وتؤثر على المصلحة العامة للمسلمين.

كيف عرف برسالة حاطب بن أبي بلتعة تلك الرسالة التي حاول أن يخبر بها قريشا عن حركة المسلمين لفتح مكة؟

¹ الأمن: هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ومنع العدو من الحصول على المعلومات.

كيف عرف بإزماع أبي سفيان بن حرب القدوم الى المدينة لتمديد فترة الهدنة؟
كيف عرف كل حركات المنافقين وكل مؤامرات يهود وقضى عليها؟
كيف أحبط كل هذه المؤامرات ومنع افتضاح نيات المسلمين؟
كل ذلك يدل على حرصه الشديد على كتمان نيات المسلمين، وحرمان العدو من
الحصول على المعلومات عن أهداف ومقاصد حركات المسلمين.

سابعاً : المرونة¹:

كانت قوات المسلمين تتحرك الى أهدافها بكفاية وسرعة.
ولقد استطاعت قوات المسلمين أن تصل الى أهدافها في الوقت المناسب، فتقوم
بإحباط نيات العدو العدوانية، قبل أن يكمل العدو استعداداته التي تساعده على النجاح.
وصلت قوات المسلمين الى (دومة الجندل) ، وإلى (تبوك) ، وإلى ربوع فلسطين وإلى
الطائف، وكل هذه الأماكن بعيدة عن قاعدة المسلمين- المدينة، وقد قطعت أكثر هذه
المسافات ليلاً، وفي ظروف قاسية من ناحية المشاكل الإدارية والطقس، كما استطاع المسلمون
أن يستمروا في الحركة ثلاثين ساعة متتابة عند عودتهم من غزوة بني المصطلق.
وقد رأيت كيف كان الرسول صَلَّى الله عليه وسلم مرناً في وضع خطته وفي تنفيذها
وكيف أنه يعدّل تلك الخطط عند الحاجة حسب الظروف الراهنة.
كل ذلك يدلّ على تطبيق الرسول صَلَّى الله عليه وسلم مبدأ (المرونة) وتحريك قواته
بسرعة لا تقلّ سرعة وإتقاناً عن أقوى جيش حديث في هذا العصر، لأن المسيرات الليلية

¹ المرونة: إن المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ: (قابلية الحركة) ، أصبح يسمى الآن مبدأ: (المرونة) ، ذلك لأن (قابلية الحركة) تدل على الحركة المادية وهي صنعة نسبية لا يعبر عنها تعبيراً صحيحاً إلا بالمقارنة مع قابلية حركة العدو. إن (المرونة) تعني أكثر من ذلك، إنها لا تتضمن قوة الحركة فحسب بل قوة العمل السريع كذلك؛ فعلى القائد أن يكون مرناً الفكر وعليه أن يطبق تلك المرونة عند وضع الخطط لحملة وأن تكون خطته بشكل يمكنه من أن يعدل سريعاً حركات قواته حين تضطره الظروف غير المنظورة وغير المتوقعة.

وقطع المسافات الطويلة والاستمرار في المسير ثلاثين ساعة كاملة دون استراحة يدل على تدريب راق وكفاية متميزة.

ثامناً : التعاون¹:

لقد رأينا كيف تعاون الرماة مع السيّافة والرّمّاحة في غزوة (بدر) الكبرى، فقد نضح الرماة المشركين بنبالهم وأوقعوا فيهم خسائر فادحة سهّلت مهمة هجوم السيّافة والرّمّاحة للقضاء نهائياً على مقاومة قريش.

كما رأينا تعاون الفرسان مع المشاة في الغزوات الأخرى.

لقد أمّن الرسول صلّى الله عليه وسلم مبدأ: (التعاون) في غزواته كلها، وذلك بإعطاء كل سلاح² واجبا يناسبه، كما أن تعاون (الصفوف) فيما بينها تمّ في الوقت والمكان الملائمين، وبذلك أمّن تسهيل مهمة الجميع للوصول الى النجاح المطلوب.

كما أمّن تعاون المسلمين من مختلف القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة العربية من قبل: (وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...)

تاسعاً : إدامة المعنويات :

يمكن تعريف المعنويات: بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرّب عن العصابات: بها تظهر الطاعة القائمة على الحب، وتبرز الشجاعة في القتال والصبر على تحمل المشاق، وتبرز كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعاً باسلاً صبوراً.

¹ التعاون: هو توحيد جهود كل الأسلحة والقطعات العسكرية لبلوغ الغرض المنشود، وهو النصر في الحرب.
² السلاح: هو الصنف الذي كان يستعمل في قسم من الجيوش العربية سابقاً، فيقال: صنف المشاة، وصنف المدفعية ... الخ. وبعد توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية من لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية الذي بدأت عملها في القاهرة من يوم 1968 / 5 / 30، أصبح يستعمل تعبير: سلاح، بدلا عن: صنف، فيقال: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية ... الخ.

ولست بحاجة الى التحدث عن طاعة جنود رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم له، تلك الطاعة القائمة على الحب المتبادل والثقة المتبادلة، ولا عن شجاعتهم وجلدهم في القتال وصبرهم على تحمّل المشاق بعزم لا يعرف التخاذل والانهزام.

حسبي أن أذكر فقط بقصة الحديثين الصغيرين اللذين قتلا أبا جهل في معركة (بدر) الكبرى والتي رواها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحسبي أن أذكر أيضا بقصة نسيبة الخزرجية (أم عمارة) في معركة (أحد) ، وهاتان القصتان معروفتان ورد ذكرهما في محلها من هذا الكتاب.

فإذا كانت معنويات الفتیان الأحداث من المسلمين والنساء من المسلمات بهذا المستوى الرفيع، فكيف تكون معنويات الرجال؟

إن مما يديم المعنويات هو وجود أهداف يؤمن بها الجنود بصورة خاصة والشعب بصورة عامة، وقد كانت أهداف المسلمين جميعا حينذاك هي إعلاء كلمة الله والعمل على حرية نشر الدعوة الإسلامية بدون تدخّل أحد ونشر لواء العدل والسلام بين الناس كافة، تلك الأهداف التي آمن بها المسلمون إيمانا عميقا وجاهدوا في سبيلها بكل ما يمتلكونه من غال ورخيص.

كما أن صفات القيادة الحقة هي التي تخلق المعنويات وتديمها، فإذا كانت الأمة محظوظة تقياً لها قائد عظيم حكيم شجاع يبعث الثقة الحقيقية في الأمة.

ولست أعرف قائدا لأمة قديما أو حديثا تمتلك صفات القيادة الحقة كما امتلكها الرسول صَلَّى الله عليه وسلم، إذ كان في صفاته ومزايه رجلا يعادل أمة أو هو أمة تعادل رجلا كما يقولون.

فلا عجب أن يتحلى المسلمون بالمعنويات العالية عندما كانوا ضعفاء يتخطفهم الناس من كل جانب في مكة عقر دارهم، وعندما أصبحوا أقوياء يسيطرون على شبه الجزيرة العربية كلها دون منازع.

عاشراً : الأمور الإدارية :

مهما تكن خطة العمليات دقيقة مرنة معقولة، فلا تؤتي ثمراتها المتوقعة إذا تعذر تنفيذها من الوجهة الإدارية، بل يمكن أن نذهب الى أبعد من ذلك بالقول: إن كل خطة مرهونة بإمكاناتها الإدارية.

لقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمور الإدارية كثيرا في معاركه، فتعاون المسلمون على تزويد المجاهدين بالأرزاق والماء والنقلية والسلاح.

قرن الإسلام دائما الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) ... (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ... (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ... (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) ... (لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً) .

المطلب الثاني : تطبيقها في الفتوحات الإسلامية (اليرموك – القادسية)¹.

أولاً : تطبيق بعض مبادئ الحرب في معركة اليرموك :

كانت معركة اليرموك عام 634م، بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، والروم، آخر أعمال الخليفة أبي بكر الصديق، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية. وقد طبق خالد في المعركة مبادئ الحرب الآتية:

أ. الحشد :

حشد المسلمون أربعين ألف مقاتل، بتجميع قوات العراق بقيادة خالد بن الوليد، وقوات فلسطين بقيادة عمرو بن العاص، وعلى رغم ذلك كانت مقارنة القوات 1:5 لصالح الروم.

ب. خفة الحركة والقدرة على المناورة :

تميزت الجيوش الإسلامية بخفة الحركة والقدرة على المناورة، فقد قام خالد بن الوليد بمناورة بقوات العراق للانضمام إلى الجيوش الإسلامية في الشام، وبمجرد توليه القيادة في الشام، قرر الاستيلاء على مدينة بصرى، ثم قدر موقفة تجاه جيوش العدو، وقرر القضاء عليها وبالتعاون مع فرقة عمرو بن العاص في فلسطين، اشتبك مع جيش الروم الأول (مائة ألف مقاتل) وانتصر عليه في موقعة أجنادين، ثم عاد ليواجه جيش الروم الثاني في اليرموك وفي إثناء المعركة قام بعدة هجمات مضادة بالفرسان، ثم أخيراً الهجوم المضاد العام، الذي انتزع به النصر.

ج. المبادأة :

بمجرد تولى خالد بن الوليد جيوش المسلمين، قرر الاستيلاء على مدينة بصرى، ثم قرر مهاجمة الجيش الأول للروم في فلسطين، وانتصر عليه في موقعة أجنادين لاعتناقه لمبدأ المبادأة.

د. الأمن :

أمن خالد الأجانب والثغرات بين القلب والميمنة والميسرة، بأن أمر أن يكون الارتداد في إثناء ضغط العدو على الميمنة والميسرة، في اتجاه القلب وليس للخلف، حتى لا تكون هناك ثغرة

¹ نظراً لضيق الوقت فإنني أسوق هذا المبحث تكميلاً لفائدة البحث نقلاً موسوعة مقاتل من الصحراء، لأهميته.

يستغلها العدو لتطويق القلب، كما وضع احتياطياً من الفرسان، خلف الفاصل بين الميمنة والميسرة والقلب؛ لقفل الثغرات والقيام بالهجمات المضادة

هـ. المفاجأة :

1. تم تحقيقها في موقعه أجنادين، حيث قام عمرو بن العاص بالاشتباك مع الجيش الأول للروم، ثم ظهر فجأة خالد بن الوليد بالقوة الرئيسية لجيوش المسلمين، وهاجم العدو وانتصر عليه.

2. في معركة اليرموك حقق خالد المفاجأة باستخدام تنظيم جديد يطبق لأول مرة في جيوش المسلمين وذلك بتنظيمها في فرق وكراديس.

و. التعاون :

1. وضح تنظيم التعاون في أثناء ارتداد ميمنة المسلمين، تحت ضغط العدو والتحامها مع القلب، والقيام بالهجوم المضاد بالفرسان والميمنة على ميسرة الروم وردھا للخلف.

2. وضح التعاون أيضاً، من خلال الهجوم العام بالقلب والمسيرة مع تثبيت الميمنة لتكون قاعدة ارتكاز.

ز. الروح المعنوية :

1. الروح المعنوية العالية المبينة علي عقيدة دينية صحيحة، جعلت جنود المسلمين يحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة.

2. كانت انتصارات المسلمين المتوالية في العراق وفي موقعة أجنادين عاملاً في رفع الروح المعنوية للمسلمين.

3. قيام قادة المسلمين بالمرور على الجنود وتشجيعهم قبل المعركة وتلاوة القرآن الكريم، مما يشعرهم بالاطمئنان على النصر والثقة في الله والنفس والقادة ورفع الروح المعنوية.

ثانياً : تطبيق بعض مبادئ الحرب في معركة القادسية:

كانت معركة القادسية (636م) مفتاح بلاد الفرس والشرق الإسلامي كله، أمام الجيوش الإسلامية، ولقد طبقت في معركة القادسية مبادئ الحرب الآتية:
أ. الحشد :

تحقق ذلك بحشد 32 ألف مقاتل منظمين جيداً، وكذلك حشد القوة الرئيسية في اتجاه الضربة الرئيسية في قلب الجيش الفارسي، وكذلك حشد القوة الرئيسية لجيش المسلمين في اتجاه المدائن.

ب. المفاجأة :

تحققت باختيار المسلمين لأرض المعركة بدقة، وجذب العدو إليها، وكذلك باستنباط أساليب جديدة للتعامل مع الأفيال - قوة الردع الفارسي -، وإخراجها من المعركة.

ج. المبادأة :

1. حقق المسلمون المبادأة باستدراج الجيش الفارسي، بالإغارات، إلى أرض المعركة، التي اختاروها.

2. انتزع المسلمون المبادأة في نهاية المعركة، بتوجيه الضربة الرئيسية في اتجاه القلب الفارسي.

د. خفة الحركة والقدرة على المناورة :

1. ظهرت في المناورة بقوات خالد بن الوليد من الشام إلى القادسية؛ لينضم في أثناء إدارة المعركة، في التوقيت المناسب.

2. وظهرت في المطاردة الكبيرة لجيش الفرس في اتجاه المدائن، والاستيلاء عليها بعد القضاء على جيش الفرس.

هـ. التعاون :

1. ظهر ذلك بوضوح، عند انضمام جيش خالد بن الوليد من الشام في أثناء إدارة المعركة، واشتراكه في المعركة مع جيش المسلمين ضد الجيش الفارسي، دون ارتباك في السيطرة.
2. ظهر التنظيم الجيد للتعاون، عند بداية مطاردة قوات الفرس في اتجاه المدائن عاصمة الفرس.

و. الهدف :

- تم تحديد الهدف السياسي العسكري للجيش الإسلامية؛ ليكون إبلاغ رسالة الإسلام؛ و"هزيمة الجيش الفارسي"، زيادة الموارد الاقتصادية للدولة الإسلامية وتأمين حدودها.
- ز. التأمين الشامل :

1. التأمين بالمعلومات بتجميع المعلومات عن الجيش الفارسي، ومتابعة تحركاته بصفة دائمة.

2. التأمين الإداري، عن طريق إرسال الإمدادات من المدينة، أو الحصول على باقي الاحتياجات بالإغارات المستمرة على العدو.